

التبيان في تفسير القرآن

(363) قوله تعالى: إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ووطن أهلها أنهم قادرون عليها أتيها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (24) آية. المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول. وقيل " مثل الحياة الدنيا " صفة الحياة الدنيا. وقيل في المشبه والمشبه به في الآية ثلاثة اقوال: احدها - قال الجبائي: إنه تعالى شبه الحياة الدنيا بالنبات على ما وصفه الله تعالى في الاغترار به والمصير إلى الزوال كالنبات الذي يصير إلى مثل ذلك. الثاني - انه شبه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع. الثالث - انه شبه الحياة الدنيا بحياة مقدرة على هذه الاوصاف، لما يقتضيه " وطن أهلها أنهم قادرون عليها " أي علموا الانتفاع بها. وقوله " فاختلط به نبات الأرض " فالاختلاط تداخل الاشياء بعضها في بعض فربما كان على صفة مدح، وربما كان على صفة ذم. وقوله " حتى إذا أخذت الأرض زخرفها " فالزخرف حسن الالوان كالزهر الذي يروق البصر، ومنه قيل زخرفت الجنة لاهلها وقوله " وطن أهلها أنهم قادرون عليها " معناه طنوا أنهم قادرون على استصحاب تلك الحال منها - جعلها على غير شئ منها، لان القادر عليهم وعليها أهلكها. وقوله " وازينت " أصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي واجلبت الهمزة لامكان النطق بها. وقرأ الاعرج وغيره " وازينت " على وزن